# التنصير في العالم الإسلامي

الدكتورة نورة رجاتي
قسم العقيدة ومقارنة الأديان

**ملخص**

إن مجابهة التنصير إشكالية لطالما واجهت الباحثين والمفكرين المسلمين، وأسالت الحبر الكثير لكن يؤسفنا القول إن النتائج في أرض الميدان لم تكن في مستوى الآمال والتطلعات ولا الأهداف مما يشرعن لطرح سؤال الإشكالية إلى أي مدى كانت مضبوطة وصحيحة ومحددة؟ هل سال الحبر في الإجابة عن السؤال الخطأ؟ وهل ينبغي إعادة ضبط الإشكالية لتحقيق المقصد من تفكيكها وبحثها؟

هذا ما سنحاول بحثه من خلال هذا المقال الموسوم بـ «التنصير في العالم الإسلامي» انطلاقا من بحث تاريخ العملية التنصيرية ومنطلقاتها إلى العملية التنصيرية وإشكالية تحديد الأولويات في مواجهاتها.

**Résumé**

La confrontation avec la christianisation, est une problématique à laquelle les chercheurs et les penseurs musulmans ont longtemps fait face et qui a fait couler beaucoup d'encre, mais nous avons le regret de dire que les résultats obtenus sur terrain n'étaient pas au niveau des espoirs, des aspirations ou des objectifs, ce qui rend légitime de poser la question problématique : dans quelle mesure était-elle correcte, précise et spécifique ? Es-que l'encre a coulé en répondant à la mauvaise question ?

La problématique doit-elle être réinitialisée pour atteindre les objectifs escomptés de son démantèlement et de la recherche dont elle est sujette ?

C'est ce que nous essayerons de discuter à travers cet article intitulé "La christianisation dans le monde islamique... une question de problématique", basé sur l'histoire du processus missionnaire et ses

implications ainsi que le problème de la définition des priorités dans ces affrontements.

**Abstract**

The confrontation with Christianization is a problem that Muslim researchers and thinkers have faced for a long time and which has been the subject of much publicity, but we regret to say that the results obtained in the field were not the same level of hopes, aspirations or objectives, which makes it legitimate to ask the problematic question: to what extent was it correct, precise and specific ? Is the ink sinking answering the wrong question ?

Should the problem be reset to achieve the expected objectives of its dismantling and the research it is subject to ?

This is what we will try to discuss through this article entitled "Christianization in the Islamic world... a problematic issue", based on the history of the missionary process and its implications as well as the problem of defining priorities in these clashes.

**مقدمة:**

في البداية أشكر القائمين على هذه الندوة التكوينية الرابعة لمواجهة التنصير في الجزائر، والتي تأتي استئنافا للندوات السابقة التي كان يشرف عليها أستاذنا القدير صالح نعمان حفظه الله وجزاه عنا وعن طلبته وأحبته في كل مكان خير الجزاء.

كما أشكر السيد مدير جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، على الوقوف وراء هذا الزخم العلمي، الذي يشرف عليه عميد كليتنا الطموح بنفسه بتيسير كل السبل لإنجاح أي نشاط علمي دون مجاملة ولا إقصاء.

كما أشكر الدكتور محمد بودبان المدير الجديد للمخبر والعامل على تفعيله بخلق الوفاء والاستئناف.

وأشكر مديرة الندوة الأستاذة القديرة الدكتورة صليحة بو البردعة على هذه الالتفاتة المحمودة في استغلال فكرة بحثها في أطروحة الدكتوراه

لتفعيلها وتجسيدها على أرض الواقع، مع تمنياتي التوفيق والنجاح لهذا المحفل العلمي.

لأدخل في الموضوع وأقف أمامكم شاكرة الحضور الكريم هذا التشريف المبارك.

وأقول إنني لو استقدمت ما استدبرت لسررت كثيرا وأنا أقف على منصة أكاديمية بحثية لمواجهة التنصير، ولكنني اليوم -في الحقيقة- أقف في حيرة من أمري من أين أواجه التنصير؟ وكيف؟

ثم هل هناك إرادة حقيقية لتنصير المسلمين؟ خصوصا ونحن نشهد تحالف اليهودية الصهيونية مع كثير من الدوائر النصرانية؟ فهل هذا بدوره يعتبر تنصير؟ أم تهويد ؟ أم ماذا؟

وكيف نفسر الحروب المشنونة على المسلمين في جميع بقاع الدنيا والإبادات الجماعية لهم على مرأى ومسمع من العالم؟ كيف ينسجم هذا مع تشريف النصارى للمسلمين بالتنصير؟

ومحاولة تتبع معالجة الإشكالية يتطلب تحليلا للعنوان، ذلك أنه لمجابهة التنصير وجب في تصوري إعادة النظر بترو وحكمة في الإشكالية التي ينبغي أن ننطلق منها ولذلك طرحت سؤال الإشكالية؟

حيث أن التنصير الذي يدور معناه حول الدخول في النصرانية كما جاء عند صاحب لسان العرب[1] وغيره من المعاجم هو عملية قديمة متجددة، انطلقت منذ مراحل الانتصار الأولى للمسلمين واكتساحهم أراضي النصرانية بل وقلوب النصارى، الأمر الذي جعل القساوسة والقائمين على الديانة النصرانية يقرعون ناقوس الخطر، ولكن كيف ذاك؟

لقد انتظموا في صفوف وبعثات تعليمية استطلاعية استخباراتية تبحث عن مصدر قوة هذا الدين، وأسباب استيلائه على القلوب قبل الأراضي فيما يسمى بطلائع المستشرقين الذين ارتدوا عباءة طالب

1. لسان العرب: ابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ج4، ص16.

العلم والحقيقة في رحلات إلى الشرق، يتعلمون اللغة العربية ويدرسون النصوص المقدسة، من قرآن كريم وسنة نبوية، لتحقيق هدفين أساسين:

1. الأخذ بمنهج المسلمين في الدعوة والإفادة من أساليبهم.

2. التعرف على مركز القوة لضرب المسلمين في مقتل. تحت شعار طلب العلم والمعرفة.

ولم تكن الرحلة قصيرة ولا التكلفة زهيدة بل دامت الرحلات تلو الأخرى على مدى سنين من الجهاد والعطاء لدينهم ومبدئهم، للحيلولة دون امتداد المسلمين لمساحات أخرى من أراضيهم وأتباعهم.

وكانت التكلفة باهضة، فمنهم من قضى وهو قائم على هدفه غير مغير ولا مبدل ولا مستسلم.

إلى أن تحقق الهدف الأول وهو تشويه صورة الإسلام عند أتباعهم مما أغراهم بوضع مخططات أكثر جرأة تهدف لاسترجاع الأراضي وتأميم القلوب. بل إخراج المسلمين من دينهم لا لتشريفهم باعتناق النصرانية كما يقول زويمر فذلك شرف لا يستحقوه[1]، بل لتضييع الهدف والهوية ورميهم بين أحضان الضياع يعيشون لا لهدف أموات أحياء.

وقد اعتمدوا في تصوري الأساليب نفسها وأفادوا من الوسائل المتاحة في كل عصر أحسن إفادة.

وانطلقوا من نصوصنا المقدسة من قرآن كريم وسنة نبوية مشرفة للإفادة منها فيما يخدم عقيدتهم بإثارة التشكيك والشبهات حولها لتكون مناط التأسيس لصدقية ما يعرضونه على المسلمين.

وقد كان للتراث الإسلامي الذي تعرض للتحقيق من طرف كبار المستشرقين، الدور البالغ الأهمية في إثارة الشبهات حول الإسلام وتعاليمه، وبالمقابل في تقوية القرائن والشواهد فيما يعرضون من بدائل.

1. حقيقة التبشير: أحمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، 1401هـ، يونيو 1981م، ص153.

وهذا كله معروف لا يحتاج إلى كثير شواهد.

سؤال الإشكالية الآن لماذا نجحوا اليوم في إثارة الشبهات واستقطاب كثير من النخبة المتخرجة من الجامعات في العالم الإسلامي، بل ومن النخبة المتخرجة من الجامعات الإسلامية، التي باتت تتبنى رؤاهم وأصبحت منابر داعية لدعواهم؟

وقد فشلوا الفشل الذريع منذ زمن قريب ليس بالبعيد، في تحقيق مبتغاهم لدى الأطفال المحاصرين بالجوع والمرض والصغر، حيث يسجل التاريخ الجزائري المجيد في الحقبة الاستعمارية أن «لافيجري بذل جهوداً جبارة في تنصير الأطفال الجياع، إلا أن الأطفال كانوا بمجرد شفائهم أو حصولهم على القوت يفرون من المراكز التنصيرية، الأمر الذي حيّر الكاردينال»[1] في الوقت الذي يركب شباب اليوم في عهد الحرية والاستقلال قوارب الموت بحثا عن حياة مختلفة، فرارا من ديار الإسلام إلى ديار النصرانية والتنصير (طبعا تحت شعار أنظمة علمانية في خطابها وشعاراتها، ووفية لنصرانيتها أويهوديتها قلبا وواقعا).

مما يجعل سؤال الإشكالية يلح أكثر، أين الخلل؟

من أين ينبغي أن ننطلق في هذه الدورات التكوينية لمواجهة التنصير في العالم الإسلامي على وجه العموم والجزائر على وجه الخصوص؟

**1. العملية التنصيرية.. تاريخها ومنطلقاتها:**

خصوصا ونحن نشهد نكوصا وهزائم متتالية للمشروع الإسلامي في خطابه الوسطي كخطابه المتطرف، لانفصام العروة الواصلة للأخوة الإيمانية، وتراشق الاتهامات بين الفصائل المشكلة للخطاب الإسلامي، هذا من جهة.

وقوانين عالمية مفروضة على الأمة الإسلامية تؤسس للمشترك

1. تاريخ حركة التنصير في الجزائر: شواهد وحقائق 2/ 2: عبد الرحيم الجزائري، بتاريخ: 7/ 10/ 2004. http://www.alasr.ws/articles/view/5737

الإنساني والتعايش والتحاور، في معادلة غير متكافئة تبدو الخيارات فيها الزامات: إما أن تدخل الأمة في هذه المنظومة القانونية العالمية وإما أن تفرض عليها عزلة وتكال لها اتهامات تجر أمنها إلى التهديد من جهة أخرى.

هذه الترسانة من القوانين تؤسس للحرية الدينية ومن ورائها حرية كل ذي معتقد في الدعوة إلى معتقده، وذلك في المادة (18) منه تحت عنوان «حق التفكير والدين والضمير» ونصها: «لكل شخص الحق في حرية التفكير والضمير والدين ويشمل هذا الحق حريته في تغيير ديانته أو عقيدته، وحرية الإعراب عنهما بالتعليم والممارسة وإقامة الشعائر، ومراعاتها، سواء كان ذلك سرا أو علانية»[1].

مما يجعل مصطلح مجابهة دين لآخر يغرد خارج السرب لتعارضه مع المنظومة القانونية التي تؤسس لحرية المعتقد، وهذا إشكال في تصوري من أهم الإشكالات التي تواجه مشروع رد الدعوات التنصيرية.

وعليه وفي خضم كل هذه المعطيات يصبح السؤال مشروعا كيف فشلنا فيما نجح فيه غيرنا؟ ونحن نتقدم إلى العالم بأننا حملة الحق وحملة الدين السماوي الخاتم والناسخ والمهيمن؟

وأتصور أن المنطلق ينبغي أن يكون من: إعادة المناعة للجسم الذي اعتل لاعتلال أفراده، فيكون الوعي بالذات وإعادة ترتيب الأولويات الشغل الشاغل الذي ينبغي أن يبنى ويؤسس وذلك عبر حوار نقدي ذاتي هادئ، يفصل المصالح عن بعضها البعض، حيث ينبغي التمييز بوعي كامل بين المصلحة العامة للأمة وبين المصلحة الشخصية، لأن فرز هذه المسألة بالذات صعب التناول ودقيق الفهم ويعجبني في توصيف هذه الفكرة ما ذكره الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه «مذاهب الإسلاميين» وهو يحلل نفسية الخوارج وسبب ميلهم إلى العنف مع مخالفيهم «... وأن

1. الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لعام 1948، المادة 18.

الإنسان قد يسيطر على نفسه هوى يدفعه إلى فكرة معينة يخيل إليه أن الخلاص رائده، والعقل وحده يهديه، وهذا أمر واضح في أمور الحياة كلها، فالإنسان ينفر من كل فكرة اقترنت بما يؤلمه، وإذا كان ذلك كذلك فلا بد أن نتصور أن «الخوارج» وأكثرهم ربعيون رأوا الخلفاء من مضر، فنفروا من حكمهم واتجهوا في تفكيرهم نحو الخلافة تحت ظل هذا النفور من حيث لا يشعرون، وظنوا أن ما يقولونه هو محض الدين، وأنه لا دافع لهم إلا الإخلاص لدينهم»[1].

وأكثر المنتصبين للخطاب الإسلامي والدعاة إليه تتقاسمهم هذه النوازع الذاتية التي تخلط المصلحة الخاصة بالعامة خلطا يصعب -بعد تضخم الأنوات- التمييز بين الأمرين، فيؤجل العام على حساب الخاص ويكثر اللغط والغلط، وهو ما من شأنه أن يعصف بكل مشروع نهضوي يحاول التصدي للمخاطر التي يمكنها العصف بأمن الأمة وتهديد استقرارها، كاستغلال التنصير كلبنة لغرس أقليات في جسم الأمة يمكن أن تستغل تحت شعار حماية حرية الأقليات لأغراض استعمارية[2] أو مشاريع تقسيم لجسم أنهكته الانقسامات والتناحرات.

مازلنا أمام سؤال الإشكالية لماذا نجح المنصرون إلى حد كبير في إثارة الشبهات وكسب العديد من الجولات وأساليبهم معروفة وكذلك وسائلهم؟ حيث أن التغيير -حسب تصوري- في الشكل كالتنويع في الشبهات واعتماد أحدث الوسائل المتاحة في كل عصر، فأول محنة في الإسلام وهي قضية خلق القرآن الكريم، منشأها شبهة من شبههم أثارها يوحنا الدمشقي فيما يخص التدليل على ألوهية المسيح انطلاقا من نص قرآني ﴿إِذْ قَالَتِ الملئكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يبشرك بكلمةٍ منه اسمهُ المسيحُ عيسى

1. تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية: محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، ص60.

2. ما هي حقيقة التنصير في الجزائر وما هي غاياته...؟: محمد العلمي السائحي، موقع جريدة البصائر، 10/ 02/ 2004هـ، الأربعاء 30 أبريل 2008، 16:12، www.veecos.net

ابن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين ﴿٤٥﴾ [آل عمران: 45]، يصف المسيح بأنه كلمة الله، مثيرا الشبهة إن أجابك المسلم بأن المسيح كلمة الله فاسأله هل هي قديمة أم حادثة فإن أجابك بقدمها فقد ثبتت ألوهية المسيح؟[1] وهذا ما أسال حبرا كثيرا بعد ذلك بين مفكري الإسلام سواء بين الفرق الكلامية من معتزلة قالت بأن الصفات عين الذات تنزيها لله -حسب تصورها- عن تعدد القدامى[2] وبين من رأى أن الصفات زائدة عن الذات وأن تعدد الأوصاف لا يفضي بالضرورة إلى تعدد الذات[3]، كما طرحت مسألة خلق القرآن ومحنة أحمد بن حنبل عنواها؟[4].

## 2. العملية التنصيرية وإشكالية تحديد الأولويات في مواجهتها

لقد نخرج من شاهد مثل هذا، أن السقوط في فخ ردود الفعل، قد يؤدي في أحايين كثيرة إلى دعاوى مجانية للخصم يحقق بها من الأهداف أكثر مما كان يصبو إليه وبلسان وجهد خصمه. ولهذا وجب التأكيد على ضرورة ضبط الإشكالات حتى لا تصبح سؤالا، كما وجب ترتيب الأولويات بتقوية الجبهة الداخلية للأمة وذلك بدعم مناعتها، ورص صفوفها وإعادة الثقة ونشر المودة فيما بينها مع ضبط وفتح الحوار فيما بينها، لأن الذي لا يستطيع أن يؤسس لحوار داخلي من سابع المستحيلات أن ينجح في حوار خارجي.

---

1. تاريخ الفلسفة في الإسلام: ت.ج.دي بور، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الثالثة، صفر 1474هـ، أكتوبر 1954م، ص 19.
2. شرح الأصول الخمسة: القاضي عبد الجبار بن أحمد، تعليق: الإمام أحمد بن الحسين بن أبي هاشم، حققه وقدم له: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثالثة: 1416هـ-1996م، ص195-197.
3. كتاب التمهيد: أبي بكر محمد بن الطيب بن الباقلاني، عني بتصحيحه ونشره: الأب رتشرد يوسف مكارثي اليسوعي، المكتبة الشرقية، بيروت، 1975، ص206-210.
4. محنة الإمام أحمد بن حنبل: الحافظ تقي الدين عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي (ت 600هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الجيزة، الطبعة الأولى: 1407هـ- 1987م،ج2، ص7.

- وحيث أن جسم الأمة ومناعتها متهرئة، فإننا يمكن أن نعتبر أن الأسباب الاجتماعية والنفسية كانت من أهم المداخل التي حقق بها المنصرون أهدافا على حساب الأمة[1]، وهذا يستخلص منه:

- قوة الجبهة الداخلية للمنصرين التي أمنت الدعم المالي واللوجستي للعملية التنصيرية، التي ترصد المبالغ الهائلة لإنجاح مهمتها.

- وسبب هذه القوة أن العمل لم يكن فرديا إنما كان عملا تنسيقيا مؤسساتيا، ينتفع من الخبرات التي حددت أولوياتها وكرست جهدها ووقتها لما آمنت به من أهداف، فبصرت أن المصلحة العامة، وأنها لا تتحقق إلا برؤية استشرافية جماعية لنخبة مؤطرة جمعت بين الوعي وإرادة النجاح والتنسيق، مع المتابعة ووضع اليد على النقائص لاستدراكها فيما استشرف، وذلك في مجامع منها المسكونية كـ«المجمع الذي انعقد في 07 نوفمبر 1964 في روما، وحضره 2427 شخصية دينية مسيحية من كبار المشتغلين باللاهوت والسياسة برآسة البابا «بولس السادس». وفي هذا المؤتمر تم التنسيق بين القوى المسيحية واليهودية في حرب الإسلام، كما تم في هذا الاجتماع رصد مبلغ 500 مليون دولار تحت تصرف البابا (بابا روما) للعمل ضد الإسلام في إفريقيا وآسيا على وجه الخصوص»[2].

ومنها المحلية توضع لها الأهداف وتقيد بالزمن، مع متابعة دورية تقييمية، تثمن ما تحقق وتضع يدها على سبب ما تخلف لتستدركه فيما يستشرف.

هذا كله يقابله تفكك في العلاقات بين المسلمين، مثل إقصاء المخالف

1. ظاهرة التنصير في منطقة القبائل(تحليل نفسي اجتماعي تحت ضوء نظريات الحاجات: ساجية مخلوف، مجلة دراسات نفسة وتربوية، مخبر تطوير الممارسات النفسية والتربوية، عدد 12 جوان 2014، ص68.

2. أخطار الغزو الفكري على العالم الإسلامي (بحوث حول العقائد الوافدة): صابر طعيمة، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى 1404هـ- 1984م، ص77-78.

ليقتنصه المنصر وقد نصح رسول الأمة ﷺ بضرورة نصرة المسلم لأخيه المسلم ظالما أو مظلوما، وذلك بالأخذ بيده مظلوما حتى ينتصر، والأخذ على يد الظالم حتى يرتدع. سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ﷺ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ: «تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ»[1].

- رعاية المسلم لحقوق أخيه المسلم كحفظ المال الذي ينبغي أن يوزع بالعدل لتعم المحبة ويشيع الأمن والسلام. عن أبي هريرة، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «كُل المسلم على المُسلم حرام: مالُهُ، وعِرضُهُ، ودَمُه، حسبُ امرئٍ من الشرِّ أن يَحقِرِ أخاهُ المُسلم»[2]، وتتوقف قوارب الموت وتتراجع نسب الانتحار، ويسد باب مفتوح أمام التنصير.
- رعاية عرضه وأعتقد أن في النساء التي تبيت في الشوارع مع أبنائها لتذوق ويلات البشر وويلات الطبيعة، انتهاك لعرض كل مسلم، وكل يد ممدودة قد تحقق مآربها وعلى رأسها التنصير.
- الوقوف عند حاجة المعوزين والمحتاجين في جزائري العميقة أين تمتد أيادي التنصير ليتقايض الدين بالحاجة. خصوصا ونحن نعلم أن الحاجات الفسيولوجية تأتي في قاعدة هرم الحاجات التي أثبتها ماسلو الشهير[3].

---

1. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري): محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، 1422هـ، كتاب: المظالم والغصب، باب: أعن أخاك ظالما أو مظلوما، رقم الحديث: 2444، ج 3، ص128.

2. سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: 275هـ)، المحقق: شعَيب الأرنؤوط -محَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، 1430هـ-2009م، باب: من رد عن مسلم غيبة، رقم الحديث: 4882، ج7، ص244.

3. Undestanding and Managing Organizational Behavior Delta Pablishing Company, 2006, p.25

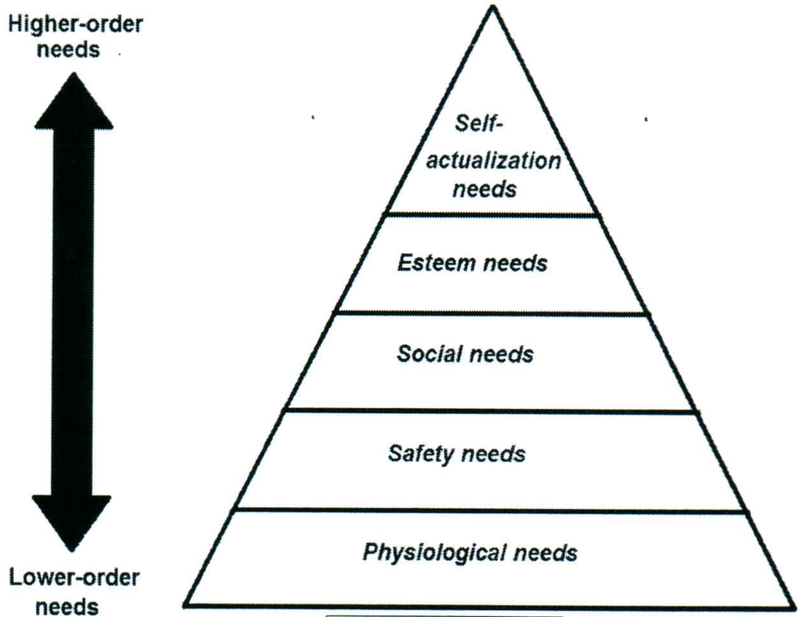


مخطط ماسلو

- سد الثلمات والعورات الموجودة بالقوانين الوضعية وتقديم البدائل المنصفة، كالقانون الذي يخرج أما مع بناتها من المسكن لصالح المطلق بحجة أنها لم تعد حاضنة لهن لتجاوزهن السن القانونية، مع أنّ ديننا يكفل الحياة الكريمة للبنت حتى تتزوج[1].
- فتح كل قنوات الحوار مع أبنائنا وبناتنا والإجابة على كل التساؤلات والشبه المثارة حتى لا يبحث عن الجواب عند أذرع مفتوحة تثير الشبهة وتجيب عليها، عبر وسائط التواصل الاجتماعي.
- أما على مستوى المناهج التعليمية في العالم الإسلامي فأعتقد أن من أوجب الواجبات إدخال مادة الثقافة الإسلامية في جميع التخصصات وفي كل الجامعات بات أكثر من ضروري وهو ما سبقت الدعوة إليه من الشيخ محمد المبارك، لأن من أهم خصائص هذه المادة الشمولية،

1. المادة 65 من قانون الأسرة الجزائري «تنقضي مدة حضانة الذكر ببلوغه (10)، والأنثى ببلوغها سن الزواج»، وليس حتى تتزوج كما في الشريعة الإسلامية.

«فالشمول هو القاعدة الأساس لمنهج علم الثقافة الإسلامية، وهي الحاكمة للقواعد الأخرى في حدود النظر والتناول، والمراد بالشمول: التناول الكلي للموضوع باعتباره وحدة مترابطة، يُنظر إليها باعتبار كليّتها أو تركيبها؛ لتقديم صورة شاملة عن الموضوع المراد دراسته»[1].

مع مراجعة المناهج التعليمية في الأطوار الثلاثة في جميع المواد لتأسيس عقيدة التوحيد وجعلها مدار كل الإشكالات المعرفية والعلمية؟

وقد كان لمن سلف من الرجال الذين نصبوا أنفسهم لنصرة هذا الدين والوقوف في وجه المنصرين ولو بالكلمة والنصيحة والشد على يد من أكره على التنصير، مثلما حدث مع الفتوى التي أرسلها أحمد ابن بوجمعة المغراوي ثم الوهراني (أحد فقهاء المغرب) إلى العرب المتنصرين في الأندلس، والذين أسماهم بالغرباء بتاريخ غرة رجب ستة 910 هجرية/ 18-11-1504 ميلادية ، النموذج العملي الذي يعتبر مصدرا من المصادر التي ينبغي العودة إليها في تأسيس فقه دعوة الآخر والتعامل مع الواقع ومستجداته، ولهذا كان من الضروري عرض نص هذه الفتوى - والتي تحتاج إلى دراسة عقدية فقهية دعوية معمقة لأهمية ما جاء فيها- ونصها:

«الحمد لله والصلاة على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما:

إخواننا القابضين على دينهم، كالقابض على الجمر، ممن أجزل الله ثوابهم فيما لقوا في ذاته، وصبروا النفوس والأولاد في مرضاته، الغرباء القرباء إن شاء الله من مجاورة نبيه في الفردوس الأعلى من جناته، وارثوا سبيل السلف الصالح في تحمل المشاق وإن بلغت النفوس إلى التراق، نسأل الله أن يلطف بنا وأن يعيننا وإياكم على مراعاة حقه بحسن إيمان وصدق، وأن يجعل لنا ولكم من الأمور فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً.

1. مدخل إلى علم الثقافة الإسلامية، للأستاذ الدكتور عبد الرحمن الزنيدي، المنشور في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية العدد الثاني، ص49، محرم عام 1410هـ.

بعد السلام عليكم من كاتبه إليكم، من عبيد الله أصغر عبيده وأحوجهم إلى عفوه ومزيده، عبيد الله تعالى أحمد ابن بوجمعة المغراوي ثم الوهراني.

كان الله للجميع بلطفه وستره، سائلاً من إخلاصكم وغربتكم حسن الدعاء، بحسن الخاتمة والنجاة من أهوال هذه الدار، والحشر مع الذين أنعم الله عليهم من الأبرار، ومؤكداً عليكم في ملازمة دين الإسلام، آمرين به من بلغ من أولادكم. إن لم تخافوا دخول شر عليكم من إعلام عدوكم بطويتكم، فطوبى للغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس، وإن ذاكر الله بين الغافلين كالحي بين الموتى، فاعلموا أن الأصنام خشب منجور، وحجر جلمود لا يضر ولا ينفع، وأن الملك ملك الله، ما اتخذ الله من ولد، وما كان معه من إله، فاعبدوه واصطبروا لعبادته، فالصلاة ولو بالإيماء، والزكاة ولو كأنها هدية لفقيركم أو رياء، لأن الله لا ينظر إلى صوركم، ولكن إلى قلوبكم، والغسل من الجنابة، ولو عوماً في البحور. وإن مُنعتم فالصلاة قضاء بالليل لحق النهار، وتسقط في الحكم طهارة الماء، وعليكم بالتيمم ولو مسحاً بالأيدي للحيطان، فإن لم يمكن فالمشهور سقوط الصلاة وقضاؤها لعدم الماء والصعيد، إلا أن يمكنكم الإشارة إليه بالأيدي والوجه إلى تراب طاهر أو حجر أو شجر مما يتيمَّم به، فأقصدوا بالإيماء، نقله ابن ناجي في شرح الرسالة لقوله صلى الله عليه وسلم فأتوا منه ما استطعتم.

وإن أكرهوكم في وقت صلاة إلى السجود للأصنام أو حضور صلاتهم فأحرموا بالنية وانووا صلاتكم المشروعة، وأشيروا لما يشيرون إليه من صنم، ومقصودكم الله. وإن كان لغير القبلة تسقط في حقكم كصلاة الخوف عند الالتحام، وأن أجبروكم على شرب خمر، فاشربوه لا بنية استعماله، وإن كلفوا عليكم خنزيراً فكلوه ناكرين إياه بقلوبكم، ومعتقدين تحريمه، وكذا إن أكرهوكم على محرّم، وإن زوجوكم بناتهم،

فجائز لكونهم أهل الكتاب، وإن أكرهوكم على إنكاح بناتكم منهم، فاعتقدوا تحريمه لولا الإكراه، وأنكم ناكرون لذلك بقلوبكم، ولو وجدتم قوة لغيَّرتموه.

وكذا إن أكرهوكم على ربا أو حرام فافعلوا منكرين بقلوبكم، ثم ليس عليكم إلاّ رؤوس أموالكم، وتتصدقون بالباقي، إن تبتم لله تعالى. وإن أكرهوكم على كلمة الكفر، فإن أمكنكم التورية والإلغاز فافعلوا، وإلا فكونوا مطمئني القلوب بالإيمان إن نطقتم بها ناكرين لذلك، وإن قالوا اشتموا محمداً فإنهم يقولون له مُمَدْ، فاشتموا مُمَداً، ناوين أنه الشيطان، أو مُمَد اليهود فكثير بهم اسمه. وإن قالوا عيسى ابن الله، فقولوها إن أكرهوكم، وانووا إسقاط مضاف (أي عبد اللاه مريم معبود بحق)، وإن قالوا قولوا المسيح ابن الله، فقولوها إكراها، وانووا بالإضافة للملك، كبيت الله لا يلزمه أن يسكنه أو يحل به، وإن قالوا: قولوا مريم زوجة له، فانووا بالضمير ابن عمها الذي تزوجها في بني إسرائيل، ثم فارقها قبل البناء. قاله السهيلي في تفسير المبهم من الرجال في القرآن. أو زوجها الله منه بقضائه وقدره. وإن قالوا عيسى قد توفي بالصلب فانووا من التوفية والكمال والتشريف من هذه، وإماتته وصلبه وإنشاد ذكره، وإظهار الثناء عليه بين الناس، وأنه استوفاه الله برفعه إلى العلو، وما يعسر عليكم فابعثوا فيه إلينا نرشدكم إن شاء الله على حسب ما تكتبون به، وأنا أسأل الله أن يديل الكرة للإسلام حتى تعبدوا الله ظاهراً بحول الله، من غير محنة ولا وجلة، بل بصدمة الترك الكرام.

ونحن نشهد لكم بين يدي الله أنكم صدقتم الله ورضيتم به، ولابد من جوابكم والسلام عليكم جميعاً. بتاريخ غرة رجب عام عشرة وتسعمائة عرف الله خيره»[1].

1. انبعاث الإسلام في الأندلس: علي المنتصر الكتاني، دار الكتاب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى، 2005م، ص71.

«يصل إلى الغرباء إن شاء الله تعالى» غرة رجب 910 هجرية، (18-11-1504م)

ويلاحظ أن الرسالة جمعت بين الدرس العقدي المثبت والمواسي والمبشر، وبين الحلول العملية المتمثلة في فتاوى مستجدة تتماشى والاضطهاد الذي كان يعانيه المسلمون المنصرون، والذي يستشف منها معايشة المفتي لواقع المفتى لهم وسعة فقهه واطلاعه وحكمته، وهو المطلوب في متصدري خطاب مواجهة التنصير اليوم وغدا.

هذا فيض من غيض لسؤال إشكالية التنصير في العالم الإسلامي خلاصته:

**الخاتمة:**

أن المنطلق يكون ابتداء من تعزيز الجبهة الداخلية والوعي بالذات، وقد نبه النبي ﷺ إلى هذا في قوله: «عَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمُ الْأُمَمُ كَمَا تَدَاعَى الْقَوْمُ إِلَى قَصْعَتِهِمْ» قَالَ: قِيلَ: مِنْ قِلَّةٍ؟ قَالَ: «لَا وَلَكِنَّهُ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ يُجْعَلُ الْوَهَنُ فِي قُلُوبِكُمْ، وَيُنْزَعُ الرُّعْبُ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ لِحُبِّكُمُ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَتِكُمُ الْمَوْتَ»[1].

حيث ركز على أن سبب الهزيمة ضعف الأمة ووهنها وليس قوة عدوها.

وليس هناك أصدق من كلام رب العالمين أختم به هذه الورقة البحثية، حيث يؤسس لحوار هادئ متكافئ مبني على الندية المتحققة من بناء الذات بعد الوعي بها.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ

1. مسند أبي داود الطيالسي: أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصري (المتوفى: 204هـ)، المحقق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر، مصر، الطبعة الأولى، 1419هـ-1999م، باب: وثوبان رحمه الله، رقم الحديث: 1085، ج2، ص333.

ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يُضِلُّونَكُمۡ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [آل عمران: 64-70].

كما يكشف منهجهم القديم المتجدد في التعامل مع المخالف حيث يقول جل من قائل:

**قَالَ تَعَالَى:** ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ عِندَ رَبِّكُمۡۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٧٣﴾ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ * وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَىٰ مَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ مِنۡهُمۡ لَفَرِيقٗا يَلۡوُۥنَ أَلۡسِنَتَهُم بِٱلۡكِتَٰبِ لِتَحۡسَبُوهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادٗا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ

تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟
ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ
مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا
مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟
أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ
فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ [آل عمران: 71-83].

## قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

1. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري): محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة الأولى، 1422هـ.

2. سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: 275هـ)، المحقق: شعَيب الأرنؤوط -محَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، 1430هـ-2009م.

3. مسند أبي داود الطيالسي: أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصري (المتوفى: 204هـ)، المحقق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر، مصر، الطبعة الأولى، 1419هـ-1999 م.

4. لسان العرب: ابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ج4.

5. حقيقة التبشير: أحمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، 1410هـ-يونيو 1981م.

6. الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لعام 1948، المادة 18.

7. تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية: محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، ص60.

8. تاريخ الفلسفة في الإسلام: ت.ج. دي بور، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الثالثة، صفر 1474هـ الموافق لأكتوبر 1954م.

9. شرح الأصول الخمسة: القاضي عبد الجبار بن أحمد، تعليق: الإمام

أحمد بن الحسين بن أبي هاشم، حققه وقدم له: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثالثة: 1416هـ- 1996م.

10. كتاب التمهيد: أبي بكر محمد بن الطيب بن الباقلاني، عني بتصحيحه ونشره: الأب رتشرد يوسف مكارثي اليسوعي، المكتبة الشرقية، بيروت، 1957.

11. أخطار الغزو الفكري على العالم الإسلامي (بحوث حول العقائد الوافدة): صابر طعيمة، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، 1404هـ-1964م.

12. مدخل إلى علم الثقافة الإسلامية) للأستاذ الدكتور عبد الرحمن الزنيدي، المنشور في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية العدد الثاني، ص94، محرم عام 1410هـ.

13. انبعاث الإسلام في الأندلس: علي المنتصر الكتاني، دار الكتاب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى، 2005.

**المجلات:**

14. ظاهرة التنصير في منطقة القبائل (تحليل نفسي اجتماعي تحت ضوء نظريات الحاجات: ساجية مخلوف، مجلة دراسات نفسة وتربوية، مخبر تطوير الممارسات النفسية والتربوية، عدد 12، جوان 2014.

**المواقع الإلكترونية**

15. ما هي حقيقة التنصير في الجزائر وما هي غاياته...؟: محمد العلمي السائحي، موقع جريدة البصائر، 10/ 02/ 2004هـ، الأربعاء 30 أبريل 2008، 16:12، www.veecos.net

16. تاريخ حركة التنصير في الجزائر: شواهد وحقائق 2/ 2: عبد الرحيم الجزائري، بتاريخ: 7/ 10/ 2004.

http://www.alasr.ws/articles/view/5737